سفر يتسيرا كمصدر أساسي للقبالاه

Sefer yetzirah as a main source for the kabbalah

وفاء النمينج: أستاذة اللغة العربية فاس المغرب، وطالبة باحثة في سلك الدكتوراه جامعة سيدي محمد بن عبد الله سايس فاس، المغرب

Ms. OUAFAE EN-NMINEJ :Arabic language teacher, Fez, Morocco, and a PhD research student at the University of Sidi Mohamed Ben Abdullah Sayess, Fez, Morocco

Email: Ouafaeennminej69@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v3i9.223

المخلص:

بدأ الفكر القبالي بالتفسيرات والتأويلات الخفية لطبيعة الإله، وكيفية حلوله، والعلاقة الروحية بينه وبين الإنسان والطبيعة، واعتمدت على التراث اليهودي الشفوي المعروف بالشريعة الشفوية. كما اعتمدت القبالاه على التفسيرات الغنوصية الأفلاطونية للوصول إلى المعاني الباطنية بواسطة معرفة أسرار الحروف العبرية. واعتمد الفكر القبالي على مصادر متعددة كالتلمود، والزوهار والباهير وكتاب يتسيرا (كتاب الخلق)، وتهدف الدراسة إلى التعريف بسفر يتسيرا وإبراز مكانته بين مصادر القبالاه المتعددة، وفهم موضوعاته من خلال تحليل الأفكار الرئيسة لإزالة الغموض الذي طال أفكار هذا السفر. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي بالإضافة إلى المنهج التحليلي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج، أبرزها: إن سفر يتسيرا مصدر قبالي يناقش قضايا الخلق والكون من خلال فك رمزية اللغة العبرية، وهو مصدر أساسي من مصادر الفكر القبالي يكشف أسرار الإله والعلاقة بينه وبين الخلق.

الكلمات المفتاحية: سفر يتسيرا، فكرة الخلق، فكر قبالي، رمزية الحروف العبرية.

Abstract:

The Kabbalistic thought has focused on the hidden interpretations of the nature and the aspects of God, and the spiritual relationship between Him, humans and nature, while relying on the oral Jewish heritage known as the Oral Law. Additionally, Kabbalists drew upon Gnostic and Platonic explanations to access the hidden meanings through understanding the secrets of the Hebrew letters. They based their thought on multiple sources such as the Talmud, the Zohar, the Bahir, and the book of Yetsira (The Book of Creation). This study employed a descriptive approach alongside to the analytical one, to clarify the obscurity that surrounded its concepts, and reached a set of outcomes, most notably: The Book of Yetsira is a Kabbalistic source that discusses the creation and the universe through deciphering the symbolism of the Hebrew language. It is a fundamental source of Kabbalistic thought that reveals the secrets of God and His relationship with His creation.

Keywords: Sefer Yetzirah, idea of creation, kabbalistic thought, symbolism of hebew letters.

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

تتعدد مصادر القبالاه والتي تبرز بوضوح معالم الفكر القبالي، أهم مواضيعه، رؤيته للكون، خلق الإنسان والتواصل مع الخالق. فهناك التوراة والتلمود، سفر الباهير، الزوهار وسفر يتسيرا... ووفقا للتقاليد فإن سفر يتسيرا أو كتاب الخلق هو الكتاب الذي يمكن من خلاله الاستخدام الصحيح للكتب المقدسة، وإنشاء حيوانات و(جوليم) "גולם" (شخص اصطناعي)، بل حتى عوالم كاملة كما قال بعض المعلقين على الكتاب. لكن كتاب الخلق ليس مجرد دليل لخلق الكون، هو أول كتاب يتناول اللغة العبرية نفسها، وأول كتاب يتناول تحليل العمل الأدبي. من هنا تطرح العديد من الأسئلة حول هذا الكتاب أهو كتاب سحر؟ أم علم؟ أم كتاب مدرسي للأطفال؟ أم كتاب أول عبري للتهجئة العبرية الذي يفسر اهتمامه العميق بأحرف اللغة ؟ أم شيء آخر تماما؟ أم كتاب تصوف؟ شيء واحد مؤكد أنه أول كتاب يتعامل مع اللغة العبرية نفسها، ومعانيها كأداة لخلق العالم.

كتاب الخلق كتاب قديم من التوراة السرية، منسوب إلى أبينا إبراهيم، مكتوب بلغة غامضة ومليئة بالتلميحات والأسرار، يتطرق الكتاب الذي يبلغ طوله حوالي ألفي كلمة إلى العناصر التي خلق منها العالم. تعامل عظماء إسرائيل في جميع الأجيال مع هذا الكتاب باحترام كبير، وبسبب أسراره العميقة اكتسب مكانة عظيمة تماثل التوراة أو أكثر عند القباليين.

كتب حكماء إسرائيل في أجيال عديدة تعليقات كثيرة عليه وأشهرهم: رامبان، سعدية غاون، مئير هاليفي أبو العافية، يتسحاق ين شالومو، شبتاي دونولو، يهودا بن برزلاي وغيرهم كثير لأهمية هذا السفر[1].

إن كتاب الخلق يحاول التعامل مع القضايا المعقدة التي تلخصها الأسئلة التالية: كيف تصنع الحيوانات؟ كيف تصنع إنسانا ذكيا؟ كيف تصنع إنسانا غير ذكي؟ كيف تصنع عالما وكيف تصنع الكون؟

أسئلة ليست سهلة، معقدة جدا، لكن كتاب الخلق يحاول التعامل معها وفي بضع صفحات فقط.

ولعل هذا ما جعل الحاخام يهوذا بن برزيلاي[2] يقول عن سفر يتسيرا:" **حتى الآن ليس لديك شخص واحد يفهمه، بل حكيمان، ولن يفهموه لمدة ثلاث سنوات، وعندما يفهمونه، يمكنهم أن**

(1) دان، يوسف (1993): الأهمية الدينية لكتاب الخلق دراسات القدس في فكر إسرائيلن ط- 2، القدس ماغنس ص63.

(2) يهوذا بن برزيلاي: حاخام أندلسي وتلمودي عاش بين النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي وبداية القرن الثاني عشر الميلادي يطلق عليه غالبا لقب (هانسي) أي الأمير، فهو ينحدر من عائلة مميزة جدا، وهو من أتباع إسحاق بن روفين،

يفعلوا ما تشتهيه قلوبهم". ومن هذا المنطلق فإننا سنحاول في هذه المقالة أن نميط اللثام عن أهم مواضيع هذا الكتاب، وكيف ينظر ويؤسس لنظرية السرية اليهودية للأجيال، ثم كيف ينبع منه كل مصدر للفرد ونظرية القبالاه المعقدة، وكيف أصبح أكثر كتب التصوف اليهودي غموضا وصعوبة في الفهم باعتباره الكتاب التأسيسي لتعاليم القبالاه اللاحقة والباطنية اليهودية.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

هذه الدراسة تطرح إشكاليتين مهمتين يمكن إجمالهما فيما يلي:

1 ـ الإشكالية الأولى: كيف فسر سفر يتسيرا **ספר יצירה** أسرار الخلق؟

2 ـ الإشكالية الثانية: ما الطريقة التي وظفت بها حروف اللغة العبرية لفهم أسرار الإله والكون؟

منهج الدراسة:

لمقاربة الموضوع قيد الدراسة، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي للتعريف بسفر يتسيرا، وإبراز أهميته كمصدر أساسي للقبالاه، بالإضافة إلى المنهج التحليلي في تحليل السفر ومعالجة موضوعاته الرئيسة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف نجملها فيما يأتي:

- التعريف بسفر يتسيرا.
- فهم مواضيعه من خلال تحليله.
- بيان نظرة سفر يتسيرا للخلق وعملية الوجود.
- الإحاطة بطريقة تشفير اللغة العبرية وعلاقتها بأسرار الإله والكون.
- معرفة كيف أصبح السفر أهم مصدر من مصادر القبالاه.

أهمية الدراسة:

لهذه الدراسة أهمية قصوى حيث تقدم لنا نظرة شاملة عن سفر يتسيرا، وتتجلى هذه الأهمية في النقاط التالية:

- أنها تعرف بالسفر باعتباره مصدرا قباليا مهما.
- أنها توضح أهم مواضيعه.

كما انخرط في جدل مع مواطنه وشريكه في الدين إبراهيم بن يحيى الذي يود تأجيل الزواج بسبب العلامات غير المواتية التي رآها في النجوم، في حين اعتبر يهوذا بن برزيلاي هذا السلوك مخالفا الناموس وممنوعا في الكتاب المقدس العبري.

- أنها تحلل السفر وتبين كيف وظف الحروف العبرية لكشف أسرار الإله والكون.

هيكلة الدراسة:

للإحاطة بموضوع سفر يتسيرا كمصدر أساسي للقبالاه، ارتأيت تقديم مادتي العلمية وفق ما يلي:

- المقدمة.
- المبحث الأول: سفر يتسيرا وأسرار الخليقة.
- المبحث الثاني: موضوعات سفر يتسيرا.
- الخاتمة.

المبحث الأول: سفر يتسيرا وأسرار الخليقة.

أصالة سفر يتسيرا:

تمت صياغة النظام القبالي منذ نشأته وفق الرأي الأكثر شيوعا عبر كتب كثيرة جدا، من خلال العناوين التي وصلت إلينا[1]، ولكننا سنهتم فقط بتلك التي حفظها الزمن لنا والتي توافق اهتمامنا لأهميتها وكذلك لقدمها. عددها اثنان، وهي تجيب بشكل جيد عن الفكرة التي نريد العمل عليها من خلال التلمود (قصة التكوين { الخليقة} والمركابا "המרקבה "المقدسة).

- أحدهما، تحت عنوان كتاب الخليقة: ويضم (لا أقول نظاما فيزيائيا) ولكن علما كونيا كما يمكن تصوره بالنسبة لحقبة وبلد، حيث العادة في تفسير الظواهر ترتبط بشكل فوري بالسبب الأول، والذي يمكن أن يخنق روح الملاحظة. وبالتالي بعض العلاقات العامة والسطحية الملاحظة في العالم الخارجي يجب أن تنتقل إلى علم الطبيعة.
- والثاني، يسمى الزوهار "הזהר" أو الضياء حسب أقوال دانييل: " **الرجال الأذكياء يلمعون مثل ضوء السماء**". وهو يتعامل بشكل خاص مع الله والأرواح والنفس البشرية في كلمة واحدة مع العالم الروحي.

نحن بعيدون عن منح هذين الكتابين نفس الأهمية ونفس القيمة، فالثاني أكثر امتدادا، وأكثر غنى، وكذلك شائك بالصعوبات فهو يحتل مكانة كبيرة. لكننا سنبدأ بالأول والذي يظهر لنا أنه الأقدم.

(1) كثير ما يتم الاستشهاد بسفر هاباهير، المنسوب إلى نيحونيا بن هاكانا وهو معاصر لهليل الأكبر وهيرودس الكبير. نمرر حتى اليوم على أنها مقتطفات من هذا الكتاب وهي أجزاء مختلفة متحدة تحت عنوان " باستور المخلص" وعادة ما تطبع مع الزوهار في شكل تعليق.
أخيرا، لم يتبق لنا سوى الأسماء، وبعض الاقتباسات النادرة من المؤلفين التاليين الذين يذكرهم ابلزوهار باحترام كبير: خوسي الأكبر وحامنونا العجوز.

لصالح أصالة وقدم سفر يتسيرا تم التذرع بالنصوص التلمودية والتي لم يتم تحديد معناها ولا عصرها بشكل جيد. وسنقوم بتلخيصها مع الأساطير والخلافات التي أثارتها. ستتعلق ملاحظاتنا فقط بمحتوى الكتاب الذي نهدف إلى التعريف به، ستكون كافية لتقدير سمتها وإظهار أصلها العالي.

1. يستجيب النظام الذي يحتويه الكتاب تماما للفكرة التي يمكننا الحصول عليها من خلال عنوانه، ويمكننا أن نتيقن من ذلك من خلال هذه الكلمات التي تشكل اقتراحه الأول: "**إنه من خلال اثنين وثلاثين طريقا رائعا للحكمة، خلق الرب الأبدي العالم، رب الجنود، إله إسرائيل، الإله الحي، الإله القدير، الإله الأعظم الذي يسكن في الأبدية، واسمه السامي والقديس**".

2 ـ الوسائل المستخدمة هناك لشرح كتاب الخلق والأهمية المعطاة هناك للأرقام والحروف، تجعلنا نفهم كيف أساء الجهل والخرافات لاحقا بهذا المبدإ، وكيف تنتشر الخرافات التي ربطناها وكيف تم تشكيل ما يسمى أخير (القبالاه العملية أو التطبيقية) والتي تعطي للأرقام والحروف القدرة على تغيير مجرى الطبيعة. الشكل بسيط وخطير، لا شيء يشبه ولو من بعيد لبرهنة أو تعليل، إنها مجرد أقوال موزعة في ترتيب منظم ولكنها تضم بكل إيجاز النبوءات القديمة[1].

إن الحقيقة التي أذهلتنا كثيرا هي أن المصطلح الذي تم تخصيصه لاحقا، حصريا للنفس لا يزال مستعملا هناك، كما هو الحال في أسفار موسى الخمسة وفي العهد القديم كله، للإشارة إلى الجسد البشري، حتى تتخلى عنه الحياة.[2] صحيح أننا نجد هناك عدة كلمات من أصل أجنبي: أسماء الكواكب السبعة والتنين السماوي، ذكرت عدة مرات في هذا الكتاب. من الواضح أنها تنتمي إلى لغة وعلم الكلدان الذين أثناء سبي بابل أثروا بقوة على العبرانيين[3]. لكننا لن نجد هناك تلك العبارات اليونانية أواللاتينية أو العربية البحثة التي تظهر بأعداد كبيرة في التلمود، وفي الكتابات الأكثر حداثة، حيث يتم وضع اللغة العبرية في خدمة الفلسفة والعلوم.

الآن يمكن للمرء أن يعترف بالمبدإ العام، والبعض يكاد يجرؤ على القول بأنه(معصوم من الخطأ) أي عمل من هذا النوع لا يوجد فيه جزء من حضارة العرب أو اليونانيين يمكن اعتباره سابقا

(1) سري طارق (2009): القبالاه اليهودية العقيدة السرية وشريعة الأسرار الخفية، ط2، القاهرة: دار الشروق ص163.

(2) نريد أن نتحدث عن كلمة **נפש** من الواضح أنه لا يمكن أن تنطبق على النفس في المقاطع التالية: 1 . عندما نتحدث عن أولئك الذين، حسب المعنى الحرفي للنص . قد خرجوا من فخذ يعقوب، تكوين 46، 26.2 . عندما يسمح بإعداد في اليوم الأول من عيد الفصح **פסח** ما هو ضروري لطعام كل واحد، خروج 12، 16. 3 ـ عندما يأمر كل واحد بإلحاق المعاناة في انقضاء خطاياه، في اليوم العاشر من الشهر السابع، خروج 23،29. إذا كان صحيحا، لتسمية الروح، يستخدم المرء كلمة **נשמה** وتفضيلا على تلك الموجودة في נפש، على الأقل لم يتم استخدام الأخير أبدا من قبل علماء التلموديين والكتاب الأكثر حداثة، لتعيين الجسد لكنهم جميعا، دوم استثناء، يستخدمون كلمة **גוף** التي لم يام العثور عليها ولا مرة واحدة في سفر يتسيرا.

(3) هذه الأسماء باستثناء تلك التي تدل على الشمس و القمر، لا تنتمي في حد ذاتها إلى اللغة الكلدانية، هاهي:... الزهرة،... عطارد... زحل،... المشتري،... المريخ،... التي تعني التنين هي عربية.

لنشأة المسيحية. ومع ذلك، فإننا نعترف بأنه في الكتاب الذي يشغلنا والذي لا نخشى أن ننسب إليه هذه الميزة، لن يكون من الصعب إظهار بعض بقايا لغة وفلسفة أرسطو.

بعد الافتراض الذي استشهدنا به أعلاه، حين تحدثنا عن اثنين وثلاثين طريقا رائعا للحكمة التي اشتغلت في خلق الكون. ويضيف أن هناك أيضا ثلاثة مصطلحات:

ـ المصطلح المهم، الذي ترجمه أقدم المعلقين على أنه الفاعل والموضوع وفعل التأمل والتفكير ذاته[1]، من المستحيل عدم تذكر هذه العبارة الشهيرة من الكتاب الثاني عشر للميتافيزيقا: " **يفهم الذكاء نفسه من خلال استيعاب المنطقي والمعقول، ويصبح مفهوما من خلال فعل الفهم والذكاء ذاته، بحيث يكون الذكاء والمنطقي متطابقين**".

لكن من الواضح أن هذه الكلمات قد أضيفت للنص، لأنها غير مرتبطة بالطرح السابق ولا بما يليه، ولم تظهر مرة أخرى بأي شكل من الأشكال طوال مسار الكتاب. بينما نوضح الاستخدام الكبير للأعداد العشرة والحروف الاثنتين والعشرين التي تشكل اثنتين وثلاثين وسيلة تطبقها الحكمة الإلهية في الخلق. أخيرا من الصعب أن نفهم سبب تمكنهم من العثور على مكان في طرح حيث يتعلق الأمر بالعلاقات بين الأجزاء المختلفة من العالم المادي.

أما بالنسبة للفرق بين المخطوطتين اللتين أعيد إنتاجهما في طبعة (مانتوا)، أحدهما في نهاية المجلد، والآخر في منتصف التعليقات المختلفة، فهو بعيد كل البعد عن أن يكون عظيما كما أراد بعض النقاد المعاصرين تصديقه وتصويره[2].

بعد مقارنة محايدة ومفصلة نجدها مبنية كليا على عدد قليل من المتغيرات دون أهمية، مثل ما نجد في جميع الأعمال القديمة والتي لهذا السبب بالذات عانت لعدة قرون من عدم انتباه أو جهل النساخ وتهور المعلقين. في الواقع، إنه على كلا الجانبين ليس فقط نفس المحتوى، نفس النظام يُنْظَرُ إليه من وجهة نظر عامة، ولكن نفس التقسيم، ونفس عدد الفصول مرتبة في نفس الترتيب ومخصصة لنفس الموضوعات، علاوة على ذلك، يتم التعبير عن نفس الأفكار بنفس المصطلحات بالضبط. لكننا لن نجد هذا التشابه الكامل في عدد وفي مكان مختلف الاقتراحات التي تحمل اسم " ميشنا"[3]

(1) **בג ספרים בספר וספר וספור**، بحسب الكاتب كوزري، يهودا هاليفي، المصطلحات الثلاثة تعني التفكير، الكلمة، والكتابة، والتي في الألوهية متماثلة مهما رأيناها نحن متفرقة في الإنسان. كوزري الجزء 4 ص 25. حسب ابراهام بن ديور ترتبط بالموضوع والفاعل وبحدث المعرفة نفسه، **דעת יודע והידוע** أو **משכיל ומושכל שכל** انظر تعليقه في سفر يتسيرا، ص27.

(2) وولف، أ (1998): مقالة أبراهام بقاموس المسيحية، ط1، إيطاليا: المكتبة العبرية بابل.

(3) الميشنا: مؤلف ديني ضخم كتبه الربي موسى بن ميمون وهو أحد المؤلفات الشاملة الخاصة بالشريعة بوجه خاص، والتوراة الشفهية بوجه عام، على مدار التاريخ الشعب اليهودي وموسى بن ميمون أوجد به نظاما فهرسيا حديثا لكل الشريعة وهذا المؤلف قاطع ولا يدع مجالا للمناقشات.

تتميز بوضوح عن بعضها البعض. هنا لم نتراجع عن تكرار الكثير وهناك جمعنا معا ما فصلناه في مكان آخر. وأخيرا يبدو أحدهم أكثر وضوحا من الآخر، ليس فقط في الكلمات ولكن في الفكر أيضا. نحن نعلم، وبالتالي لا يمكننا إلا أن نذكر مقطعا واحدا يظهر فيه هذا الاختلاف الأخير: في نهاية الفصل الأول، عندما يتعلق الأمر بتعداد المبادئ العشرة للكون التي تتوافق مع الأرقام العشرة، فإن إحدى المخطوطتين ببساطة تقول إن الأول هو روح الله الحي، والآخر يضيف أن روح الله الحي هذا هو الروح المقدس (القدس)، وهو في نفس الوقت روح وصوت وكلام[1].

لا شك أن هذه الفكرة ذات أهمية كبرى، لكنها ليست منقوصة في المخطوطة، حيث لم تتم صياغتها بشكل واضح، إنها تشكل كما سنثبت قريبا أساس النظام بأكمله ونتيجته. علاوة على ذلك فإن نصوص الخلق كانت في بداية القرن العاشر وقد ترجمها وعلق عليها بالعربية سعديا الفيومي، بروح نبيلة ومنهجية وحكيمة والتي اعتبرتها من أقدم المعالم الأثرية للروح البشرية سنضيف دون إعطاء هذه الشهادة قيمة مبالغا فيها، أن المفسرين الذين جاؤوا من بعده في القرنين الثاني عشر والثالث عشر عبروا عن نفس القناعة. مثل هذه الأعمال القديمة جدا، العمل الذي نتحدث عنه بدون عنوان وبدون اسم المؤلف، لكنه ينتهي بهذه العبارات الغريبة: " **وعندما نظر إبراهيم ولدنا وفحص وعمق واستوعب كل شيء. سيد الكون ظهر له ودعاه صديقه ودخل معه في عهد أبدي ومع ذريته. فآمن إبراهيم بالله فَحُسِبَ له من عمل البر ودعي عليه بمجد الله، لأنه تنطبق عليه هذه الكلمات: عرفتك قبل أن أكونك في بطن أمك**".

لا يمكن اعتبار هذا المقطع أولا وقبل كل شيء اختراعا حديثا: فهو موجود مع بعض المتغيرات في نصي مانتوا وهو موجود في أقدم التعليقات. نعتقد أنه لإعطاء اهتمام أكبر لكتاب الخلق، كان من المفترض، أو بالأحرى نريد أن نجعل الآخرين يفترضون، أن الأشياء التي يحتويها هي بالضبط تلك التي لاحظها بطريك العبرانيين الأول، وأعطاها فكرة وجود إنه فريد وكُلِيّ القوة، بالإضافة إلى ذلك يوجد بين اليهود تقليد كان لإبراهيم بموجبه معرفة فلكية عظيمة، وارتقى إلى فكرة الإله الحقيقي من خلال مشهد الطبيعة وحدها. ومع ذلك فقد تم تفسير الكلمات التي نقلناها سابقا بأكثر الطرق المادية فظاظة.

مؤلف سفر يتسيرا والتعليقات:

اختلف حول تأليف السفر وصاحبه حتى أن حاخامات العصر الكلاسيكي والفلاسفة مثل سعدية غاون، ويهوذا هاليفي شككوا في كون إبراهيم أبينا مؤلف الكتاب، ويستشهد موسى كوردوفيرو

(1) لاحي جورج (1958): سفر يتسيرا، ط1، إيطاليا: مكتبة لابي ص: 49.

برأي مفاده أن العمل كتبه الحاخام عكيفا، وهناك تقاليد مختلفة تنسبه إلى الإنسان الأول آدم، " **وينسبه التقليد اليهودي إلى آدم، وأنه من آدم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم الخليل**"[1].

ووفقا للمؤرخين المعاصرين فإن مؤلفه مجهول، وأصل النص غير معروف، بينما يشير آخرون من التقاليد اليهودية إلى أصله المبكر من العصور الوسطى، أو إلى التقاليد السابقة التي ظهرت في الكتاب. وبناء على تحليل اللغة المستعملة فيه تشير التقديرات إلى أن كتاب الخليقة نسبه معظم المعلقين والمنتقدين له لإبراهيم أبينا، وأنه كتب في نهاية فترة الهيكل الثاني.

كان من المتصور أن إبراهيم هو نفسه مؤلف الكتاب حيث ينطق اسمه باحترام ديني كبير. هكذا يبدأ تعليق موسى بوتريل على سفر يتسيرا: (كان إبراهيم أبونا صلى الله عليه وسلم الذي كتب هذا ضد حكماء عصره الذين كفروا بمبدأ الوحدة. على الأقل هكذا يظن سعديا[2] أن ذكرى العادل مباركة في الفصل الأول من كتابه المعنون: (حجر الفيلسوف). وهذه كلماته: (حكماء الكلدانيين هاجموا أبانا إبراهيم في إيمانه).

الآن انقسم حكماء الكلدان إلى ثلاث طوائف. الأولى ادعت أن الكون كان خاضعا لسببين أوّلين متعارضين تماما في طريقة عملهما. أحدهما مشغول فقط بتدمير ما أنتجه الآخر. هذا الرأي هو رأي الثنائيين، الذين اعتمدوا على هذا المبدإ، أنه لا يوجد قاسم مشترك بين مؤلف الشر والصالح. اعترفت الطائفة الثانية بثلاثة أسباب أولية، وهما المبدآن المتناقضان اللذان تحدثنا عنهما للتو، مما أدى إلى شل بعضنا البعض بشكل متبادل، ولا شيء بهذه الطريقة يمكن القيام به، ثم الاعتراف بالثالث للاختيار بينهما.

وأخيرا لم تعترف الطائفة الأخيرة بإله آخر غير الشمس حيث اعترفت بالمبدإ الفريد لوجود الموت[3].

على الرغم من وجود سلطة مهمة جدا ومحترمة عالميا، فإن الرأي الذي عرضناه للتو لم يعد له تَابِعٌ واحد. منذ زمن بعيد، تم استبدال اسم البطريرك باسم أكيبا، أحد أكثر مؤيدي التقاليد تعصبا وأحد شهداء حرية بلاده العديدين، والذي لا ينقصه، ليحسبه الأجيال القادمة من الأبطال الذين يستحقون الإعجاب أكثر من لعبهم دورا في جمهوريات أثينا أو روما القديمة.

(1) صبري سناء (2013): اليهودية الباطنية القبالاه دراسة وصفية تحليلية، ط1، تونس: دار العالم العربي. ص9.

(2) سعديا الفيومي: هو سعيد بن يوسف أبو يعقوب الفيومي المشهور ب (سعديا) ولد في الفيوم بمصر سنة 268هـ / 882م توفي سنة 330هـ / 942م ببغداد، حاخام وفيلسوف يهودي مصري تأثر بالمدرسة الكلامية للمعتزلة، ودافع عن شرعية النبوة ووحدانية الله، كما رفض الإيمان بالسحرة والمنجمين. وهو أول شخصية عبرية مهمة تكتب على نطاق واسع بالعربية، ويعتبر مؤسس الأدب العربي اليهودي.

(3) لاحي، جورج (1958): سفر يتسيرا، ط1، إيطاليا: مكتبة لابي، ص49.

لا شك أن هذا الرأي الجديد أقل قابلية للتصديق من الأول، لكننا لا نعتقد أنه أفضل أساس وبناء. على الرغم من أن التلمود كما ذكر عكيفا[1] يمثله لنا ككائن شيه إلهي ورغم كونه يرفعه فوق موسى نفسه[2] إلا أنه لا يقدمه في أي مكان كواحد من أضواء المركابا أو علم سفر التكوين، ولا يترك في أي مكان شبهة أنه كتب كتاب الخلق أو أي عمل آخر من نفس الطبيعة.

على العكس من ذلك يؤاخذ عليه بشكل إيجابي عدم وجود أفكار سامية عن طبيعة الله: (إلى متى؟ قال له عكيفا الحاخام خوسي الكليلي: حتى متى تجعل من الجلالة الإلهية شيئا مبتذلا؟ [3] يعود الحماس الذي يلهمه إلى الأهمية التي قدمها للتقاليد والصبر الذي عرف به كيف يستمد منه قواعد جميع أعمال الحياة[4].

والحماسة التي علمها لمدة أربعين سنة وربما أيضا لبطولة موته.

إن الأربعة وعشرين ألفا من المتابعين لا يوافقون بتاتا على الدفاع الذي يقوم به الميشنا (الإفشاء لأقل من شخص واحد) حتى الأسرار الأقل أهمية بالنسبة للقبالاه.

مجموعة من الانتقادات توقعت أنه تحت نفس عنوان سفر يتسيرا، كان هناك عملان مختلفان أحدهما منسوب إلى البطريرك أبراهام وذكره في التلمود، اختفى منذ فترة طويلة والآخر أكثر حداثة هو الذي حافظنا عليه. هذا الرأي لا أساس له سوى الجهل الجسيم. استعارها موران مؤلف التمارين التوراتية[5] من مؤرخ القرن السادس عشر، الذي تحدث عن عكيفا وعبر عن نفسه هكذا: (كتاب الخلق الذي ألفه أبراهام، والذي قدم فيه موسى بن نحمان (مختصر رامبان) تعليقا رائعا) [6].

الآن هذا التعليق المكتوب في نهاية القرن الثالث عشر وطبع في طبعة مانتوا [7] بعد عدة سنوات من التاريخ الذي تم اقتباسه، من الواضح أنه يتعلق بالكتاب الذي أصبح الآن بين أيدينا،

(1) عكيفا: هو عكيفا بن يوسف المعروف باسم الحاخام عكيفا ولد حوالي 40 هـ / 170 م كان تانا في الحقبة الأخيرة من القرن الأول الميلادي وبداية القرن الثاني الميلادي أي الجيل الثالث من التنائيين وكان رجلا ذا نفوذ عظيم فيما يخص التراث اليهودي وواحدا من أكثر المساهمين الأساسيين في دراسة الميشنا، كما أنه الحاكم السابع الأكثر ذكرا في الميشنا.

(2) تيهاليم بابل ترجمة ميناخوت 29.

(3) تيهاليم بابل، ترجمة هاجيجيا.

4 تيهالم بابل ترجمة هجيجا مجلد 14 إصدار نقول بأنه يعرف استنتاج أقل الجزئيات الخاصة بحروف الكتاب المقدس**תילי תילין של הלכות.**

(5) موريتوس هومرسون(1948): تمارين توراتية، ط1، إيطاليا: كزافيي لاكروا ص 374.

(6) **אברהם אשר הרמכן (1966)חבר פירוש גדול ונפלא עליו והוא חבר ספר מכילתין וספר היצירה על הקבלה ויש ספר יצירה שחבר. v ers ; 20; Schalschelth hakabalah fol**

(أشير أبراهام هارمخين(1966): الصديق الفارسي العظيم في كتاب الخلق عن القبالاه وتأليفه، ط2، إيفا).

(7) الطبعة الأولى لسفر يتسيرا هي طبعة مانتوا نشرت سنة 1565 بينما الترتيب الزمني الذي نريد الحديث عنه وسلسلة الترجمة كانت قد طبعت في إيمولا سنة 1549.

ومعظم تعابير النص هناك محفوظة بأمانة، ومن الواضح أيضا أنها لم تقرأ من قبل المؤرخ الذي ذكرنا ملماته للتو، علاوة على ذلك، فإن أول من استبدل اسم عاكيفا باسم أبراهام كان قباليا من القرن الرابع عشر، إسحاق دولاتس الذي يتساءل في مقدمة كتابه عن عجائب الزوهار.

من الذي سمح للرب عكيفا بالكتابة وتسمية ميشنا سفر يتسيرا، بما أنه كتاب تم نقله شفهيا عن إبراهيم؟ من الواضح أن هذه المصطلحات التي حاولنا الحفاظ عليها بأمانة تتعارض مع التمييز الذي نرغب في تدميره. ومع ذلك فإن هذا الأخير يعتمد في النتيجة الأخيرة على هذه السلطة وحدها لذلك لم يكتشف بعد مؤلف كتاب الخلق، لسنا نحن من يمزق الحجاب الذي يخفي اسمه عنا، بل إننا نشك في أن هذا ممكن، مع العناصر الضعيفة التي يمكننا التخلص منها. لكن عدم اليقين الذي ندين به في هذه النقطة لا يمكن أن يمتد إلى الافتراضات التي نعتقد أننا أظهرناها والتي لزم الأمر، يمكن أن تكون كافية للمصلحة الفلسفية البحثة التي يجب البحث عنها في هذه الأمور.

المبحث الثاني: موضوعات سفر يتسيرا:

تحليل سفر يتسيرا:

في كتاب الخلق يظهر لأول مرة في التاريخ الفكري لشعب ما، أنه من خلال مشاهد العالم يرتقي الإنسان إلى فكرة الله من خلال الوحدة التي تسود عمل الخلق تظهر وحدة وحكمة الخالق، وهذا هو السبب في أن الكتاب بأكمله، يعتبر إذا جاز التعبير مجرد مونولوج وضع في فم البطريرك إبراهيم: نفترض أن الاعتبارات التي يحتويها هي تلك التي قادت والد العبرانيين لترك عبادة النجوم ويعوضها بعبادة الرب الخالد. الصفة التي أشرنا إليها للتو واضحة للغاية لدرجة أنه تم ملاحظتها وتعريفها بدقة كبيرة من قبل كاتب من القرن الثاني عشر الميلادي، يقول يهوذا هاليفي: " **سفر يتسيرا يعلمنا وجود إله واحد، من خلال إظهار وجود الوحدة والانسجام وسط التنوع والتعددية، لأن مثل هذا التوافق لا يمكن أن يأتي إلا من مسير واحد** ". حتى الآن، كل شيء يتوافق تماما مع أساليب العقل، ولكن بدلا من البحث في الكون عن القوانين التي تحكمه، من أجل العثور على الفكر والحكمة الإلهية في هذه القوانين نفسها، يسعى المرء إلى إنشاء تشابه كبير بين الأشياء وعلامات الفكر، أو الطرق التي تسمع الحكمة من خلالها وتحفظ بين الناس. دعونا نلاحظ قبل أن نذهب إلى ما هو أبعد، أن التصوف في وقت ما، يعطي أهمية لا حصر لها لكل ما يمكن أن يمثل أفعال الذكاء في الخارج [1].

(1) المسيري، عبد الوهاب (1998): اليد الخفية دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، ط1، القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع، ص24-26.

و في وقت ليس ببعيد، كان هناك كاتب معروف بيننا أراد أن يثبت أن الكتابة ليست اختراعًا للإنسانية، بل هي هدية من الوحي. المقصود هنا هو الاثنان وعشرون حرفًا من الأبجدية العبرية والأرقام العشرة الأولى التي، بالحفاظ على قيمتها الخاصة، لا تساعد على التعبير عن جميع الأحرف الأخرى. متحدين في وجهة نظر مشتركة، يُطلق على هذه العلامات "**المسارات الاثنتين وثلاثين الرائعة للحكمة**"، والتي، كما يقول النص: "**أسس عليها اسمه الرب الأزلي، رب الجنود، إله إسرائيل، الإله الحي، ملك الكون، الإله الممتلئ بالرحمة والنعمة، الإله العظيم الخالد، الإله العلي القدوس**". على هذه المسارات الرائعة للحكمة، –والتي يجب عدم الخلط بينها وبين الفروق الدقيقة، التي بترتيب مختلف تمامًا ـ يعترف بمكانتها القباليون المعاصرون ـ يجب أن نضيف ثلاثة أشكال أخرى، تحددها ثلاثة مصطلحات مشكوك في معناها للغاية، ولكن لها بالتأكيد تشابهًا كبيرًا جدًا مع تلك التي تحدد باليونانية الموضوع والهدف وفعل الفكر، من حيث علم الأنساب النحوي على الأقل. نعتقد أننا أظهرنا سابقًا أن هذه الكلمات المنفصلة غريبة تمامًا عن النص. ومع ذلك، لا يمكننا أن نتجاهل أنه تم فهمها بشكل مختلف تمامًا وبطريقة لا تتعارض لا مع الطابع العام للكتاب، ولا مع قوانين علم أصول الكلمات، من قبل المؤلف الإسباني الذي ذكرناه سابقا. هكذا يعبر عن هذا الموضوع: "**بالمصطلح الأول من هذه المصطلحات الثلاثة (سيفار)، نريد الإشارة إلى الأرقام، التي توفر لنا وحدها وسيلة لتقدير الترتيب والنسب اللازمة لكل جسم للوصول إلى الهدف الذي خلق من أجله؛ قياس الطول وقياس السعة وقياس الوزن والحركة والانسجام، كل هذه الأشياء ينظمها الرقم. المصطلح الثاني "ספור" (سيبور) يعني الكلمة والصوت، لأن الكلمة الإلهية، صوت الله الحي الذي كون الكائنات بأشكالها المختلفة، سواء الخارجية أو الداخلية؛ هي التي نريد التلميح إليها في هذه الكلمات: "قال الله ليكن نور، فكان النور". وأخيرًا، المصطلح الثالث (سيفير) "ספיר" يعني الكتابة. كتابة الله هي عمل الخلق، كلمة الله كتابته، فكر الله كلمته. وهكذا فإن الفكر والكلمة والكتابة ليست إلا شيئًا واحدًا عند الله، بينما هي ثلاثة عند الإنسان**". يتميز هذا التفسير بتوصيفه الجيد إلى حد ما وتكريمه لهذا النظام الغريب الذي يخلط بين الفكر والرموز المعروفة عمومًا، لإظهارها بطريقة ما، في الكل وفي أجزاء مختلفة من الكون.

الأرقام – السيفروت والحروف والكون:

تحت اسم "ספרות" السفيروت، الذي يلعب دورًا كبيرًا في مكان آخر، ولكنه يدخل هنا لأول مرة في لغة القبالاه، نهتم أولاً بالأرقام العشرة أو التعدادات المجردة. التي تعتبر كأنها الأشكال الأكثر شيوعا، وبالتالي الأكثر أهمية لكل ما هو كائن، وإذا جاز لي التعبير، فهي فئات الكون. نعني أنه عند البحث، من أي وجهة نظر، عن العناصر الأولى أو المبادئ الثابتة للعالم، سوف نجد دائمًا الرقم عشرة، وفقًا للأفكار التي نحاول تفسيرها. "**هناك عشرة سفيروت، عشرة وليس تسعة، وعشرة**

وليس أحد عشر، احرص أن تفهمها في حكمتك وذكائك، أن تمارس عليها باستمرار أبحاثك وتكهناتك ومعرفتك وفكرك وخيالك؛ ضع الأشياء على مبدئها، واستعد الخالق على أساسه". بعبارة أخرى، العمل الإلهي ووجود العالم يتشكلان بالتساوي أمام أعين الذكاء بهذا الشكل المجرد لعشرة أرقام، حيث يمثل كل منها شيئًا لا نهائيًا، سواء في المدى أو في المدة، أو في خاصية أخرى. على الأقل هذا هو المعنى الذي نعطيه للاقتراح التالي: "**بالنسبة للسفيروت العشرة، ليس هناك نهاية، لا في المستقبل ولا في الماضي، لا في الخير ولا في الشر، لا في الارتفاع ولا في العمق، لا في الشرق ولا في الغرب، لا في الجنوب ولا في الشمال**". وتجدر الإشارة إلى أن عدد الأوجه المختلفة التي بموجبها نعتبر اللانهائي هنا هو عشرة، لا أكثر ولا أقل؛ لذلك نحن لا نفهم من هذا المقطع ما هو الطابع العام لجميع السفيروت فقط؛ بل نرى أيضا ما هي المبادئ والعناصر التي تتوافق معها. وبما أن وجهات النظر المختلفة هذه، على الرغم من تعارضها اثنين اثنين، إلا أنها تنتمي إلى فكرة واحدة، إلى لا نهائي واحد، نضيف: "**السفيروت العشر مثل أصابع اليد، عشرة في العدد، وخمسة ضد خمسة؛ ولكن في وسطهم عهد الوحدة**". تزودنا هذه الكلمات الأخيرة بالتفسير والإثبات لكل ما سبق.

هذا الأسلوب في فهم السفيروت العشر، دون الابتعاد بالضبط عن العلاقات التي تقدمها الأشياء الخارجية، له طابع تجريدي وميتافيزيقي بامتياز. إذا أردنا تحليله بصرامة، سنجد هناك أفكار المدة والفضاء ونظاما ثابتا معينا بدونه لا يوجد خير ولا شر حتى في مجال الحواس، خاضعين للانهائي وللوحدة المطلقة. ولكن ها هي قائمة مختلفة قليلاً تعطي أهمية أكبر للعناصر المادية، على الأقل في المظهر. نحن نقتصر على الترجمة:

"أول سفيروت: واحد، هو روح الله الحي، تبارك اسمه، تبارك اسم من يحيا في الأبدية! الروح والصوت والكلمة، هذه هي الروح القدس.

اثنان هو النفس الذي يأتي من الروح: منقوشة ومنحوتة فيه الحروف الاثنتان والعشرون التي تشكل نفسًا واحدًا.

ثلاثة هو الماء الذي يأتي من النفس أو الهواء، ففي الماء حفر الظلمات والفراغ، وشكل التراب والطين، ممتد كسجاد، منحوت كجدار ومغطى كسقف.

أربعة هي النار التي تأتي من الماء والتي صنع بها عرش مجده، الدواليب السماوية (أوفانيم)، السيرافيم والملائكة الخدم. بالثلاثة معا بنى مسكنه كما هو مكتوب: يجعل من الرياح رسله ومن نيرانه المشتعلة خدمه.

تمثل الأرقام الستة اللاحقة الأطراف المختلفة للعالم، أي النقاط الأساسية الأربعة، بالإضافة إلى الارتفاع والعمق. لهذه الأطراف أيضًا كشعارات التركيبات المختلفة التي يمكن تشكيلها من الأحرف الثلاثة الأولى من كلمة يهوه.

وهكذا، وبغض النظر عن النقاط المختلفة التي يمكن تمييزها في الفضاء، والتي ليس لها أي شيء حقيقي في حد ذاتها، فإن جميع العناصر التي يتكون منها هذا العالم قد خرجت من بعضها البعض، واكتسبت طابعا ماديا بشكل متزايد، لأنها ابتعدت عن الروح القدس، أصلها المشترك. أليس هذا يسمى عقيدة الانبثاق؟ أليست هذه العقيدة التي تنكر الإيمان الشائع أن العالم خرج من العدم؟

قد تساعدنا الكلمات التالية على الخروج من الشك: "**نهاية السفيروت ترتبط بمبدئهم كما يتحد اللهب مع الجمرة، لأن الرب واحد، وليس هناك ثان، لكن بحضور الواحد، ما هي الأرقام والكلمات؟**". حتى لا نتجاهل أن هذا لغز كبير يستوجب السرية حتى مع أنفسنا، نضيف مباشرة: "**أغلق فمك حتى لا تتحدث عنه وقلبك حتى لا تفكر فيه؛ وإذا فر قلبك فأرجعه إلى مكانه، فلذلك قطع العهد**". أفترض أننا بهذه الكلمات الأخيرة نلمح إلى قسم ما بين القباليين، لإخفاء قيمهم عن معرفة الجميع. أما بالنسبة إلى أول هذين المقطعين، فإنه يضم مقارنة فريدة تتكرر كثيرًا في الزوهار: سنجدها ممتدة، متطورة ومطبقة على الروح كما على الله. لنضف إلى ذلك أنه في جميع الأوقات وفي جميع مجالات الوجود، في الوعي وكذلك في الطبيعة الخارجية، فإن تكوين الأشياء عن طريق الانبثاق يمثل بإشعاع اللهب أو الضوء[1].

تختلط هذه النظرية مع نظرية أخرى أنشأت طريقًا أكثر إشراقًا في العالم – رغم أن الفرق بينهما ظاهري أكثر من أنه حقيقي– والتي تقدم نفسها هنا بطابع رائع: إنها نظرية الفعل، كلمة الله المتطابقة مع روحه، والتى لا تعتبر فقط الشكل المطلق، بل أيضًا كالعنصر المولِّد وجوهر الكون. في الواقع، لم يعد الأمر –كما في الترجمة الكلدانية لأونكيلوس– يتعلق باستبدال الفكر أو الإلهام الإلهي لله نفسه، حينما يأتي كشخص بشري في القصص المقدسة، من أجل القضاء على التشبيهية: الكتاب المعروض علينا يؤكد بصراحة، بلغة موجزة ولكن واضحة، أن الروح القدس، أو روح الله الحي، يشكل مع الصوت والكلمة، شيئا واحدا؛ أنه رفض من حضنه كل عناصر الطبيعة المادية متعاقبة؛ وأخيرًا، هذا ليس فقط ما نطلق عليه، في لغة أرسطو، المبدأ المادي للأشياء؛ إنه الفعل الذي صار عالما. علاوة على ذلك، يجب أن نتذكر أنه في هذا الجزء من القباله، فإن الأمر يتعلق دائما بالعالم، وليس بالإنسان أو الإنسانية.

(1) AD. FRANK(1892): La Kabbale ou la philosophie religieuse des hebreux, Paris: Librairie Hachette. p99.

كل هذه الاعتبارات المتعلقة بالأعداد العشرة الأولى تحتل مكانة مميزة للغاية في كتاب الخلق. من السهل أن نرى أنها تنطبق على الكون بشكل عام، وأنها تتعلق بالجوهر وليس بالشكل. أما في هذه التي أمامنا، نقارن أجزاء الكون المختلفة مع بعضها البعض، ونسعى لإخضاعها لقانون مشترك، كما أردنا سابقًا تناولها تحت مبدإ مشترك؛ وهكذا يتم إيلاء اهتمام أكثر للشكل على الجوهر. أساسها هو الاثنان وعشرون حرفًا من الأبجدية العبرية. لكن يجب أن نفكر في الدور الاستثنائي الذي يُنسب في الجزء الأول إلى هذه الإشارات الخارجية على الفكر. هذه الحروف ينظر إليها فقط من خلال الأصوات التي تمثلها، وهكذا فهي توجد، إذا جاز التعبير، على الحدود بين العالم الفكري والعالم المادي؛ لأنها من جهة، تقدم نفسها في عنصر مادي واحد، وهو النفس أو الهواء، ومن جهة أخرى، فهي علامات لا غنى عنها لجميع اللغات، وبالتالي فهي الشكل الوحيد الممكن أو الشكل الثابت للروح. لا النظام بأكمله ولا المعنى الحرفي يسمح لنا بتفسير هذه الكلمات المقتبسة أعلاه بشكل مختلف: "**الرقم اثنان (أو المبدأ الثاني للكون) هو الهواء الذي يأتي من الروح. إنه النَفَس الذي نقشت ونحتت فيه الاثنان والعشرون حرفًا التي، متحدة، تشكل نفسًا واحدًا**". وهكذا، من خلال تركيبة غريبة لا تفتقر إلى عظمة معينة، والتي، على الأقل، يمكن فهمها وشرحها، أبسط تعبيرات الصوت البشري، وعلامات الأبجدية لها دور هنا شبيه للدور المشار إليه في فلسفة أفلاطون. من خلال وجودها، من خلال البصمة التي تتركها على الأشياء، يدرك المرء في الكون وفي جميع أجزائه ذكاءً أسمى؛ وبواسطتها ينكشف الروح القدس في الطبيعة. هذا هو معنى الجملة التي سنقرأها الآن: "**بالحروف الاثنين والعشرين**" من خلال إعطائها شكلاً وصيغة، عن طريق مزجها ودمجها بطرق مختلفة، يكون الله قد خلق روح كل ما كان وكل ما سيكون كذلك. على هذه الحروف نفسها أسس القدوس المبارك، اسمه الجليل فائق الوصف.

تنقسم إلى رتب مختلفة تسمى "**الأمهات الثلاث**"، و"**المزدوجات السبعة**"، و"**البسطاء الاثني عشر**". لا يفيدنا الكشف عن سبب هذه التسميات الغريبة، للغرض الذي نسعى إليه. إلى جانب ذلك، مرتبة الحروف مجتاحة بالكامل من التقسيم الذي كشفناه للتو والأرقام الناتجة عنه: أو للتعبير عن أنفسنا بشكل أوضح، فإن الأرقام ثلاثة وسبعة واثني عشر هي التي نحاول إيجادها بكل الوسائل الممكنة في هذه المناطق الثلاث من الطبيعة:

- في التكوين العام للعالم.
- في تقسيم السنة أو في توزيع الوقت الذي تكون فيه السنة هي الوحدة الرئيسة.
- في تشكل الإنسان.

نجد هنا، على الرغم من عدم ذكرها بوضوح، فكرة العالم الكبير والعالم المصغر، أو الاعتقاد بأن الإنسان هو الصورة فقط، وإذا جاز القول، ملخص الكون.

في التكوين العام للعالم، تمثل "**الأمهات**" – أي الرقم ثلاثة – العناصر، وهي الماء والهواء والنار. النار هي مادة السماء؛ الماء، بالتكثف، أصبح ماء الأرض؛ وبين هذين المبدأين المتعاكسين، يوجد الهواء الذي يفصل ويصالح بينهما مع السيطرة عليهما. في تقسيم السنة، يذكرنا الرمز نفسه بالمواسم الرئيسة: الصيف، الذي يستجيب للنار؛ الشتاء، الذي يتميز في الشرق عمومًا بالأمطار أو بسيطرة المياه، والموسم المعتدل، الذي يتكون من اتحاد الربيع والخريف. أخيرًا، في تشكل جسم الإنسان، يتكون هذا الثالوث من الرأس، القلب أو الصدر، والبطن أو المعدة؛ إن وظائف هذه الأعضاء المختلفة التي أطلق عليها طبيب حديث اسم الحامل الثلاثي للحياة. لكن الرقم ثلاثة يظهر هنا، كما هو الحال في جميع مجموعات التصوف، شكلا ضروريا للغاية، بحيث جعلوه أيضًا رمزًا للرجل الأخلاقي، الذي نميز فيه، وفقًا للتعبير الأصلي، "**كفة الاستحقاق، كفة الذنب وإبرة القانون الذي يلفظ بين الواحد والآخر**".

من خلال المزدوجات السبعة نمثل الأضداد أو على الأقل أشياء هذا العالم التي يمكن أن تخدم غرضين متعاكسين. هناك سبعة كواكب في الكون، التي يكون تأثيرها أحيانًا جيدًا وسيئًا أحيانًا؛ يوجد في الأسبوع سبعة أيام وسبع ليال؛ يوجد في أجسادنا سبعة أبواب وهي العينان والأذنان والمنخاران والفم. وأخيرًا، يمثل الرقم سبعة أيضا الأحداث السعيدة أو الحزينة التي يمكن أن تحدث للإنسان. لكن هذا التصنيف، كما قد يتوقع المرء، عشوائي جدا ليستحق مكانًا في هذا التحليل.

أما البسطاء الاثنا عشر، التي لا يزال يتعين علينا التحدث عنها، فتتوافق مع علامات الأبراج الاثني عشر، مع الاثني عشر شهرًا من العام، مع الأعضاء الرئيسة لجسم الإنسان و مع أهم صفات طبيعتنا. هذه الأخيرة، والتي قد يكون لها وحدها حقا ما في مصلحتنا، هي البصر، والسمع، والشم، والكلام، والتغذية، والتوالد، والحركة أو اللمس، والتحرك، والغضب، والضحك، والتفكير، والنوم '. إنها كما نرى، روح الفحص في بدايتها. وإذا حدث أن تفاجأنا أحيانًا بأساليبها، وأحيانًا بنتائجها، فهذا في حد ذاته دليل على أصالتها[1].

والخلاصة أن العرض العقدي لا يخبرنا بشيء عن كيفية مجيء الأشياء والعمليات إلى الوجود، وهي ما لم يتم الإشارة إليها في كتاب الخلق. وعلى الرغم من أن الأطروحة قد قدمت باعتبارها دليلا نظريا لهيكل الخلق، فإنه قد يكون من المعقول تماما أن تكون قد توخي منها أن تصبح دليلا للتطبيقات السحرية أيضا، أو على الأقل باعتبارها بيانا للمبادئ العامة، إلى أن تستكمل بمزيد من التعليمات المفصلة، قد تكون شفاهية. تلك المتعلقة بتطبيق هذه المبادئ على أمور أخرى، وإن التقارب بين النظرية اللغوية المنصوص عليها في الكتاب والاعتقاد السحري الأساسي في قوة الحروف

(1) A D. FRANCK (1892): LA KABBAL OU LA PHILOSOPHIE RELIGIEUSE DES HéBREAUX Paris: LIBRAIRIE HACHETTE. P 103 -104-10(-10—10è-108-109.

والكلمات لواضح. ونحن نعرف من التعليقات من الكتاب بعضها فلسفي، وآخر سحري صوفي في القرون الوسطى، بأنه أول بالطريقتين كليهما وأنه يتوافق وتقليد اليهود الفرنسيين والألمان، وهم الذين يقرِؤون الكتاب باعتباره دليلا عن السحر مع قصده الأصلي، فهذا ما يمكن أن يكون موضع شك بالفعل. إلا أن نهاية الكتاب تبدو أنها تصب بقوة في هذا الاتجاه، ولا نزعم العكس بالتأكيد. [1] وفي هذا الاستنتاج فإن التبصر في القوة الخلاقة للعناصر اللغوية، تنسب إلى أبينا إبراهيم النبي الأول للتوحيد.

إن كتاب الخلق ملك لأصحاب السر، وهذا لا يعني أن أصحاب السر لم يروا في الكتاب عملا من حقائق الكون والحقائق الكونية، بل الجمع بين كل من العناصر السحرية والصوفية في تفسير الكتاب أعطته مكانة تكوين مقصور على فئة معينة، بمرور الوقت ينتمي إلى أولئك الذين يملكون السر، وبواسطة المسيحيين القباليين أصبح في بداية القرن السادس عشر الميلادي أحد أسس الباطنية الأوروبية.

ورغم الغموض الذي طال الكتاب وعسر فهمه، وجعل التأويلات والتعليقات عليه تختلف وتتعدد، وتصل إلى حد التناقض، إلا أنه يقدم لنا تصورا عاما لأهم المواضيع التي طبعت الفكر القبالي في فترة معينة من تاريخ هذا الفكر، وتوجد علاقة حميمة بين سفر يتسيرا والمتصوفة اللاحقين، وعلى الرغم من وجود اختلاف واضح بين القبالاه اللاحقة وسفر يتسيرا مثلا، لا تتوافق سيفروت **ספירות** القباليين مع نظرائهم في سفر يتسيرا، فإن النظام المنصوص عليه في الأخير أول بدلا من الخلق. وهو رابط مرئي في التطور من أفكار المباشر من العدم، يفترض كلا العملين سلسلة من انبثاق الوسائط بين الله والكون، وكلاهما يعتبر أن الله هو السبب الأول فقط وليس السبب المباشر الفعال للعالم[2]. كل هذه التصورات جعلت من هذا السفر أهم مصدر من مصادر القبالاه.

قائمة المصادر والمراجع:

- بيرل إبيستين (1978): القبالاه طريق الصوفي اليهودي، الطبعة الأولى، سوسنتير ص:35 نيويورك.
- سري طارق (2009): القبالاه اليهودية العقيدة السرية وشريعة الأسرار الخفية، ط 2، القاهرة مصر: دار الشروق.
- صبري، سناء (2013): اليهودية الباطنية، القبالاه دراسة وصفية تحليلية، ط 1، تونس: دار العالم العربي.
- ميشيل، ألبين (2000): قاموس المسيحية، ط 2، بابل: المكتبة العبرية.

(1) عباس، إيميل (2012): القبالاه والسحر اليهودي، الطبعة الثانية، طرابلس لبنان: مكتبة السائح، ص200–201.

2 بيرل، ابيستين (1978): القبالاه طرق التصوف اليهودي، ط1، نيويورك: سوسنيتر، ص35.

- لاحي، جورج (1958): سفر يتسيرا،ط1، إيطاليا: مكتبة لابي.
- هومرسون، موريتوس(1947): تمارين توراتية، ط1، إيطاليا كزافيي لاكروا.
- المسيري، عبد الوهاب (1998): اليد الخفية دراسة في الحركة اليهودية الهدامة والسرية،ط1، القاهرة مصر: دار الشروق.
- عباس إيميل (2012): القبالاه والسحر اليهودي، ط2، طرابلس لبنان: مكتبة السائح.
- Franck.AD (1892) La philosophie Religieuse des hebreux. Paris. France troisième édition. librairie Hachette.
- הלוי יהודה 1954, בג ספרים בספר וספר וספור כרך4 ירושלים.
- בן דיור אברהם 1978 רעת יודע והידוע ביינה

الرومنة Romanization:

Pearl Epstein (1978): The Kabbalah, The Way of the Jewish Mystic, First Edition, Socenter, p. 35, New York (in Arabic).

Sari Tariq (2009): Jewish Kabbalah, the Secret Doctrine and the Law of Hidden Secrets, 2nd edition, Cairo, Egypt: Dar Al-Shorouk (in Arabic).

Sabri, Sanaa (2013): Esoteric Judaism, Kabbalah, a descriptive and analytical study, 1st edition, Tunisia: Dar Al-Alam Al-Arabi (in Arabic).

Michel, Albin (2000): Christian Dictionary, 2nd edition, Babylon: The Hebrew Library (in Arabic).

Lahi, George (1958): Safar Ytsira, 1st Edition, Italy: Lapi Library (in Arabic).

Homerson, Moretus (1947): Biblical Exercises, 1st edition, Italy, Xavier Lacroix (in Arabic).

Al-Messiri, Abdel-Wahhab (1998): The Hidden Hand, a Study of the Destructive and Secret Jewish Movement, 1st edition, Cairo, Egypt: Dar Al-Shorouk (in Arabic).

Abbas Emil (2012): Kabbalah and Jewish Magic, 2nd edition, Tripoli, Lebanon: Al-Sayeh Library (in Arabic).